مجلة جامعة الملك سعود، م٢٣، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٢)، ص ص ٤١١-٤٥٠، الرياض (٢٠١١م/١٤٣٢هـ)

محاسن العقيدة الإسلامية

أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.ب ٨٦٩٠ الرمز ١٤٢١٢

E-mail: aalmazyad@ksu.edu.sa

(قدم للنشر في ١٤٣٠/١٢/١١هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٣١/٧/١٤هـ)

الكلمات المفتاحية: محاسن، العقيدة، الإسلام، الإيمان، الأخلاق، الوسطية، الرسول، الغرب.

ملخص البحث. يتناول البحث محاسن العقيدة الإسلامية – إذ الحاجة ماسة لإبراز تلك المحاسن خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر – بما قدمته للإنسانية في مجال الاعتقاد من دلالات واضحة ومبرهنة على وحدانية الله تعالى، في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأن هذه العقيدة مصدرها محفوظ من التحريف والتغيير، كما أنها توقيفية لا دخل للبشر فيها.

كما تناول البحث أركان الإيمان الستة وبين ما في هذه الأركان من محاسن... من ذلك الإيمان بالملائكة الكرام وبيان وظائفهم التي ناطها الله تعالى بهم، وكان للبحث تطواف حول محاسن العقيدة في الإيمان بالكتب والإيمان بالرسل، ومحاسن هذا الاعتقاد الذي لا يفرق بين رسول ورسول، فهم إخوة لعلات عقيدتهم واحدة وإن تنوعت شرائعهم، وأن الكفر بأحدهم يعد كفرًا بجميع من أرسل الله تعالى.

مما تناوله البحث أيضًا محاسن الإيمان بالقدر فأوضح حدود هذه القضية وضوابطها، وتناول أيضًا قضية اليوم الآخر، ومحاسن العقيدة في بيان ذلك على وفق الطبيعة الإنسانية.

وكان لمكانة الإنسان في العقيدة نصيب في هذا البحث، من ذلك التركيز على علاقة الأخلاق بالاعتقاد، وحدود الحرية الإنسانية، وأنه لا إكراه في الدين، ورعاية أهل الذمة وضمان حرياتهم.

وجاءت محاسن العقيدة الإسلامية كذلك في الجانب العلمي مؤكدة على دور العقل ومكانته، ووسطية العقيدة ومدى التوازن فيها، وقيمة العلم والعلماء في المعتقد الإسلامي. وختم الباحث بحثه بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

ففي ظل العمل لبيان وسائل الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والحث على إزالة الحواجز النفسية والثقافية، التي تكتنف نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين لأسباب كثيرة – خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتقصير كثير من المسلمين في بيان محاسن دينهم قولا وسلوكًا –، يأتي الحديث عن العقيدة الإسلامية وما اشتملت عليه من المحاسن من أهم ما يجب أن تركز عليه الدراسات والبحوث الإسلامية اليوم، وما ينبغي على المراكز البحثية الإسلامية الاهتمام به وترجمته ونشره على أوسع نطاق، ومن واجب العلماء والدعاة، إبراز معاني الإسلام السامية، وحقائقه الواضحة الناصعة، والتي سوف نجلي بعضًا منها فيما يأتي من خلال:

النظر في محاسن العقيدة الإسلامية في الإيمان بالله، وما يجب له من إفراد بالعبادة والتعظيم، ونفي الوسائط بينه وبين خلقه في العبادة، والحب والخوف، إلى غير ذلك مما يمثل نوعًا من العبودية لله سبحانه دون النظرة السلبية التي تتحدث عنها كتب الفلسفة اليونانية، وغيرها من الفلسفات الوضعية الإلحادية بتصوير علاقة الصراع بين الإله أو الآلهة وبين البشر كنوع وحيد وبغيض من العلاقة!

وفي هذا البحث تظهر محاسن العقيدة الإسلامية في الإيمان بالغيب، وكيف أن مثل ذلك الاعتقاد يربي النفس على المراقبة والحياء، ويرقيها إلى أفق سام تصل به إلى عالم من الكمال المقدر للبشر أن يبلغوه من خلال التشبه بالكُمّل من مخلوقات الله كالملائكة، فيما يمكن التشبه بهم من حسن طاعة ودوام خضوع وعبودية لله تعالى، وفي الحذر من أخلاق الشياطين والحذر من كيدهم ووساوسهم.

ويجلي البحث محاسن الإسلام في الإيمان بالرسل والكتب وأنه يجب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله وأن الكفر بواحد منهم كفر بالجميع، وإيمانه بجميع ما أنزل الله من كتب سماوية كانت في أصلها هادية للناس ومبينة لهم طريق الرشاد، وختمت بالقرآن الكريم الذي جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه.

كما نرى أيضًا دعوة إلى حسن النية وإخلاصها في كل ما يأتيه المرء من قول أو فعل، والمتابعة للنبي – صلى الله عليه وسلم –.

وفي نظرتها للإنسان وما احتوت عليه هذه النظرة من ارتقاء بالجنس البشري وإعلاء لقيمة الإنسان ينطلق البحث من معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

فيبين حدود حرية الإنسان، واختياراته في الفعل

والترك، ومن ثم عدم إجبار أحد من الخلق على اعتناق أي شريعة كانت، ولو كانت هذه العقيدة هي عقيدة الإسلام، فإنها بيّنة واضحةٌ في دلائلها وبراهينها، يدخلها من شرح الله له صدره، ونور بصيرته، وذلك انطلاقًا من قول الله جل شأنه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

كما يتضح من خلال هذا المبحث مدى الكرامة التي يوليها الشرع الحنيف للإنسان من خلال اعتبار المسئولية وتحديدها، وأنّ الإنسان لا يؤاخذ إلا بما جنت يداه، وأنه بتعبير القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ويوضح الباحث – في إيجاز – مدى عناية أحكام العقيدة الإسلامية بأهل ذمة المسلمين وعهدهم، وحمايتها لحقوقهم وصيانتها لكرامتهم، بلْهَ دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ومنع التعدي عليهم أو إكراههم على ترك دينهم ومعتقداتهم؛ لأن من محاسن العقيدة الإسلامية ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾؛ كل ذلك بما يحقق لهم التعايش مع المسلمين في بلد واحد تحت غطاء من احترام الحقوق، وأداء الواجبات، والبر والإحسان على ما سيأتي بيانه – إن شاء الله –.

وأخيرًا يعرض الباحث لأهمية العلم في المعتقد الإسلامي، ومكانة العلماء، ويبين جانبًا مما قامت عليه العقيدة الإسلامية من أدلة وبراهين يقينية، وكيف أنها نعت على المقلدين – دون برهان أو دليل – تقليدهم، ودعت في أكثر من موضع إلى إعمال العقل والسير في الأرض تأملاً، وتدبرًا في ملكوت الله بغية الوصول إلى الحق والخير.

سبب اختيار الموضوع

١ – إبراز محاسن الدين الإسلامي، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وآثر الباحث اختيار الجانب العقدي لقلة المصادر التي رصدت هذا الجانب – حسب اطلاعي –.

٢ – ببيان محاسن العقيدة الإسلامية تتجلى البساطة والوضوح في العلاقة التي بين الخالق والمخلوق التي يدعو إليها الإسلام؛ حيث لا واسطة بينهما إلا الاتصال المباشر بالذكر والدعاء والعبادة القلبية والعملية وفق ما جاء في وصف الرب تعالى من أنه واحد لا شريك له، ومن أنه قريب يجيب دعوة من دعاه في أي لحظة من ليل أو نهار، وبكونه تعالى غفّارًا للذنوب وقابلاً للتوبة من عباده دون وسيط أو شفيع في هذه الدنيا.

٣ – بيان موقف الإسلام من الإيمان بالأنبياء والرسل جميعًا، وكيف أنه عده ركنًا من أركان الإيمان الإسلامي، ولازمة من لوازم الإيمان بمحمد – صلى الله عليه وسلم –.

٤ – الدفاع عن الأنبياء جميعًا، من خلال ذكر فضائلهم والثناء عليهم، والدعوة إلى تعظيم شأنهم

واحترامهم أشد الاحترام، وإيضاح اتفاقهم جميعًا على غاية دعوتهم وهي توحيد الله تعالى، وبيان زيف وتحريف من اتهمهم بالعظائم من أعدائهم.

٥ – بيان السيرة التاريخية للإسلام في حسن تعامله مع أهل الملل الأخرى وأنهم لا يكرهون على الدخول في الإسلام، ونفي ما يتردد على ألسنة البعض بأن الإسلام انتشر بالسيف، وأن المسلمين أكرهوا أهل البلاد المفتوحة على الدخول في الإسلام.

٦ – ومن أهداف هذا البحث أيضًا تعميق الحوار مع أهل الديانات الأخرى وخاصة أهل الكتاب منهم، بالحكمة والموعظة الحسنة باتخاذ بيان المحاسن العقدية للإسلام أسلوبا خاصا في الحوار والتواصل الفكري، باعتبارها عقيدة الفطرة التي فُطر عليها الناس جميعًا، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

خطة البحث

وبعد، فقد جاء هذا البحث في: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

❖ مقدمة.

- المبحث الأول: محاسن العقيدة في الإيمان بالله تعالى.
- المبحث الثاني: محاسن العقيدة في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر.
- المبحث الثالث: محاسن العقيدة في نظرتها للإنسان.
- المبحث الرابع: محاسن العقيدة في الجانب العلمي.

❖ خاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

والله نسأل السداد والتوفيق.

المبحث الأول

محاسن العقيدة في الإيمان بالله تعالى

يعد الإيمان بالله تعالى من أجل المهمات، وإفراد الله تعالى بالعبادة قطب رحى الرسالات وأوجب التكليفات الشرعية؛ فهي وظيفة الرسل ومهمة الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وحيث إن شرف العلم بشرف المعلوم وبأثر ذلك؛ فلا شك أن إفراد الله تعالى له آثاره المرضية إذ يورث الحياة الطيبة، وتطمئن النفس بحسن توكلها على الله وتعلقها به، كما يحصل به الاستخلاف في الأرض والتمكين للدين.

لهذا وغيره جاءت العقيدة الإسلامية بمحاسن ومزايا في هذا الجانب المهم من أصول الإيمان الستة، ومنها:

١ – سمة الربانية ووحدة المصدر

إن الربانية تعني النسبة إلى الربّ، فالعقيدة الإسلامية مصدرها واحد هو الله تعالى، هذا المصدر الذي ضمّنه في القرآن الذي هو وحيه وكلامه إلى رسوله محمّد – صلى الله عليه وسلم –[1].

(١) انظر: القرني، د.ت، ص ٢٧ وما بعده، ص ٨٥ – ١٧٥.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦].

وقال عز من قائل: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [السجدة: ٢].

ومما يترتب على معرفتنا بهذا المصدر أن نعلم أنه محفوظ من التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقصان، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقد اقتضى هذا حفظه على الهيئة التي نزل بها لم تلحقه يد تبديل أو تحريف، قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

قال البيضاوي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: «لا أحد يبدل شيئًا منها بما هو أصدق وأعدل، أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعًا ذائعًا كما فعل بالتوراة... فيكون ضمانًا لها من الله – سبحانه وتعالى – بالحفظ»[٢].

فالمنهج المعتبر في تفسير آيات القرآن الكريم – باعتباره المصدر الأول للعقيدة الإسلامية – هو طلب معرفة النص من القرآن نفسه؛ فهو أحسن طريق لمعرفة مراد المتكلم.

وعلة هذا المنهج أن هذا المصدر هو وحي الله الذي لم تشبه شائبة نقص أو جهل أو قصور، فنجده يفسر بعضه بعضًا، فليس فيه تناقض ولا اضطراب.

فإن لم يتيسر فهم النص القرآني من النص نفسه، طلبه المفسر من سنة النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وعلّة هذا أن السنة النبوية هي وحي من عند الله كذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ – ٤].

إذن فالمصدران الأساسيان الأصليان للعقيدة الإسلامية هما من عند الله، وقد تكفل الله بحفظ كتابه من التحريف والتغيير بزيادة أو نقصان. وليس كما حدث للعقائد والديانات الأخرى التي ظهر فيها من التناقض والاضطراب ما جعل كثيرًا من أتباعها يعزفون عن تعاليمها، بل ويكفرون بها، وذلك راجع لفساد مصادرها الناتج عن التحريف والتبديل اللذين لحقا بها على يد البشر من أتباعها أو من غيرهم[٣].

أما العقيدة الإسلامية فظلت وستظل نقية خالصة كما جاء بها القرآن وصحيح السنة؛ ولهذا كانت عقيدة سهلة يقبلها العقل السوي والفطرة النقية.

ومن محاسن هذا المحور ما يأتي:

- كمال العقيدة وخلوها من النقائص.
- العصمة من التناقض والاضطراب.
- السهولة واليسر والبعد عن التعقيد.
- تحقيق مصالح العباد النفسية والروحية، ودرء

(٢) البيضاوي، ١٣٨٨هـ، ١/٣٢٨.

(٣) انظر: ابن القيم، ١٤٢٩هـ، ص ٣٨٦ وما بعدها؛ وشلبي، ١٩٨٥م، ٤/٢٢٢ وما بعدها.

المفاسد عنهم في أهم جوانب حياتهم[٤].

٢ – العقيدة الإسلامية منهج توقيفي

العقيدة الإسلامية منهج توقيفي يقوم على نصوص الوحي، ولا يعتمد على الرأي أو القياس أو الذوق... الخ[٥]؛ لأن هذه الأخيرة تتغير من شخص إلى آخر، فلا تنضبط معها عقيدة ولا منهج، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

٣ – وضوح وبساطة العقيدة الإسلامية في بيان وحدانية الله تعالى وتقرير ربوبيته وألوهيته

جاءت العقيدة الإسلامية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا خفاء ولا التواء؛ ففي وضوح لا خفاء معه صرحت آيات القرآن الكريم بوحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

كما أقامت الدليل الواضح على إفراده بالألوهية، وجاء على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

«فالله هو الإله الواحد المتفرد بالألوهية، لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد؛ لأن أي إضافة له سبحانه من شريك أو زوج أو ولد لا يكون إلا لدفع ضرر، أو جلب خير، أو سد نقص، وهذا مما يناقض الكمال المطلق الذي ينبغي أن يكون لمالك الملك كله»[٦].

وقررت العقيدة الإسلامية ربوبية الله تعالى لخلقه، وبينت مظاهر هذه الربوبية، ودعت إلى التفكر في هذه المظاهر، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

وبعد أن أثبتت هذه الآياتُ الوحدانية والربوبية لله تعالى، دعت إلى إفراده – عز وجل – بالعبادة والتأله؛ ذلك بأنه هو المستحق للطاعة والخضوع والانقياد، وما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب إلا لأجل هذا الغرض، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: ٣٦].

ويقتضي تفرده في الألوهية التامة الكاملة التفرد في جميع صفاته وأسمائه، فكما أنه لا شريك له في ذاته في استحقاقه للألوهية وحده دون شريك، فكذلك لا شريك له في أسمائه وصفاته.

---

(٤) مجموعة مؤلفين، د.ت، ص ٣٨٠.

(٥) انظر: الزنيدي، د.ت، ص ٢٨٩ – ٣٧٤.

(٦) الخطيب، د.ت، ص ٢٩.

ومما يزيد محاسن اعتقاداتنا في الله وإيماننا بأسمائه وصفاته وضوحًا: أن نعلم مدى التأثير الذي يحدثه مثل ذلك الإيمان في النفس الإنسانية، ومن ثم لا نعجب حين نرى – مثلاً – الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) يقول: «إن لإضافة العلم الكامل لله أثرًا في سلوكي، لأنها تجعلني أعتقد أنه يمكنه رؤية أفعالي في الظلام!»[٧].

ولعل نظرة في كتب كثير من الديانات حتى الكتابية منها، تتجلى لنا بها محاسن العقيدة الإسلامية في هذا الصدد حيث نرى مدى التعقيد والغموض الذي يكتنف معنى الوحدانية في تلك الديانات بعد أن حُرِّفت، كما نجد مدى التعدد الذي وصل إليه الهنود حيال الإله؛ فـ «كل قوة طبيعية تنفعهم أو تضرهم يعدونها إلهًا، ويستنصرون به في الشدائد، كالماء والنار والأنهار والجبال وغيرها»[٨].

ثم ساق المؤلف جملةً من اعتقاداتهم في التوحيد مستخرجًا إياها من كتبهم التي يدّعون أنها التوراة التي أنزلها الله على موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –[٩].

وعند النصارى نرى الوحدانية هي إله واحد الأب، والابن، والروح القدس، ثم يقسمون الوظائف والأعمال والتدابير الكونية بين هؤلاء الثلاثة، ويزعمون مع ذلك أن هذه هي الوحدانية، بينما هي في الواقع جمع بين الضدين، فالوحدانية تنفي الشريك، والشريك ينفي الوحدانية، فلا يمكن أن يجتمعا كالسواد والبياض، ثم تتداخل الأقانيم وتختلط الوظائف فلا نعرف ماهية الإله عندهم تحديدًا ولا هم يعرفون[١٠].

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقد شهد بهذه العقيدة – عقيدة التوحيد – لدى المسلمين الفيلسوفُ البريطاني برتراند راسل قائلاً: «كانت ديانة النبي محمد توحيدًا بسيطًا ليس فيه التعقيد الذي نراه في عقيدة الثالوث والتجسيد، ولم يزعم النبي لنفسه أنه إلهي، ولا زعم له أتباعه هذه الطبيعة الإلهية نيابة عنه، وجعل واجبًا على المسلمين أن يفتحوا من العالم ما وسعهم فتحه في سبيل الإسلام على ألا يسمح لهم خلال ذلك باضطهاد المسيحيين أو اليهود»[١١].

(٧) الخطيب، د.ت، ص ٣٦.

(٨) علي خان، د.ت، ص ٧٧.

(٩) انظر: علي خان، د.ت، ص ٧٧ وما بعدها.

(١٠) انظر: الشهرستاني، د.ت، ص ٢٠١؛ وكذا: ابن القيم، ١٤٢٩هـ، ص ٣٤٦ وما بعدها.

(١١) رسل، ١٩٧٧م، ١٨٦/٢.

٤ – العمل بإخلاص يعتبر في عقيدة الإسلام عبادة لله

إن من أهم ما تميزت به العقيدة الإسلامية أنها جعلت كل حركة للإنسان أو سكون إذا صح منه وكان ذلك مشروعًا وأريد به وجه الله تعالى، داخلاً في معنى العبادة، ولذا جاء قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] (١٢).

وما دامت هذه الحياة بما فيها من أقوال وأفعال فيجب الإحسانُ في أدائها، والإحسان هنا لا يأتي من مؤثر خارجي، بل الدافع له هو العقيدة التي يؤمن بها، وتدعوه إلى ذلك، فيحرس كلُّ مسلم عملَه، ويحافظ عليه كعبادة يؤديها، لا يبتغي بذلك رياءً ولا سمعة، بل يرجو الأجرَ من الله، ويظل على ذلك رجاء قبول عمله.

وإذا كان هذا شأن جميع الأعمال، فهي في مجال العبادات والشعائر آكد، فلا يجوز صرف صلاة أو نسك أو دعاء أو استغاثة لغير الله؛ لا لنبي مرسل، ولا لمَلَك مقرب، ولا لولي صالح، ولا لمعظم في عشيرة أو جماعة، فضلا عن عامة البشر والقبور والأشجار والأحجار...الخ.

وقد حذرت أحكام العقيدة الإسلامية من صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله أيما تحذير، وعدّت ذلك من الشرك الذي لا يغفره الله، إن مات صاحبه عليه، ولتمام ذلك جعلت العقيدةُ الصلةَ بين العبد وربه – كما قدمتُ سابقًا – صلة مباشرة، لا تحتمل وسيطًا من بشرٍ أو مَلَكٍ أو غيرهما، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

٥ – دعوة العقيدة لتعظيم الله تعالى وإجلاله من خلال النظر في الآيات الكونية والتأمل في بديع صنعها

حيث عرضت العقيدة مظاهر هذه العظمة، من خلال الدعوة إلى النظر في كتاب الله المفتوح، وهو الكون الفسيح فحين يرى المؤمن ما حوله من المخلوقات والكائنات، وما يبدو فيها من عظمة الخالق وقدرته التي ليست لها حدود يمتلئ قلبه بتعظيم الله وإجلاله (١٣).

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٩ – ٢١].

ففي هذه الآيات أمر الله تعالى عباده بالنظر العلمي المتتبع لمعرفة كيف بدأ الخلق فيستدلون من بدء الخلق على حاجته إلى خالق عظيم أحدثه بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا، وأن هذا الخالق هو القادر على

(١٢) القرافي، ١٤٠٨هـ، ص ١٥٦.

(١٣) انظر: حبنكة، د.ت، ص ١٠٠ – ١٥٥.

إعادته وإنشائه النشأة الآخرة بعد الموت والفناء[١٤].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق: ٦ – ١١].

ففي هذا النص دعوة إلى النظر في أجزاء تفصيلية من الكون لاكتشاف آيات الله فيه الدالات على عظم الخالق من حيث القدرة والتدبير والحكمة التي تحكم هذا الكون، فلا يضطرب ولا يختل توازنه، كما أخبر بذلك الرب جلّت قدرته: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١][١٥].

وقال عز من قائل: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم: ١٩].

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تدل على عظمة الله سبحانه في الخلق والرزق والتقدير، وبما تدل على آثار قدرة عظيمة، وعلم محيط، وحكمة بالغة، ورحمة واسعة... إلى غير ذلك من صفات الكمال التي هي صفات الخالق القادر المدبر الحكيم العليم الخبير.

٦ – دعوة العقيدة الإسلامية لمحبة الله والشوق إليه مع الخوف منه والرهبة

محبة الله في عقيدة الإسلام تعد من الإيمان بالله تعالى، بل لا يصح إيمان إنسان إلا بوجودها وكذلك الخوف منه.

ونصوص القرآن والسنة بما فيها من تذكير بنعم بالله، وأفضاله على الإنسان، مما يقوي باعث المحبة والشوق لله تعالى، كما أن آيات الوعيد توجب على الإنسان الخوف والاستعداد ليوم الجزاء.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: «أما المتدين فخضوعه شعوري اختياري معًا، وهو حين يخشع لمعبوده ويسجد لعظمته يفعل ذلك عن طواعية لا عن كراهية، لأنه يقوم في ذلك بحركة نفسية من التمجيد والتقديس تأبى طبيعتها أن تؤخذ قهرًا، وإنما تعطى وتمنح لمن يستحقها متى اقتنعت النفس بهذا الاستحقاق، نعم إن هناك نوعًا من الإكراه (وهو الإكراه غير المباشر كالتهديد بالعقاب) يمكن أن يفضي إلى مظهر من مظاهر التعظيم، وصورة من صوره المادية، ولكنه لا يمكن أن يتولد عنه حقيقة التعظيم ولا صورته القلبية»[١٦].

وكان مما وصف الله به عباده المصطفين أن قال جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن

(١٤) وانظر: الطبري، ١٤٠٨هـ، ٢٠/٢٠؛ والقرطبي، ١٤٠٦هـ، ٢٩٩/١٣.

(١٥) انظر: ابن كثير، ١٤١٦هـ، ٣٩٦/٧.

(١٦) دراز، د.ت، ص ٥٠.

دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففي قلوب بني آدم محبة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك قوام قلوبهم، وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبةً لما يطعمونه، وينكحونه، وبذلك تصلح حياتهم، ويدوم شملهم»[١٧].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «أصل التوحيد وروحه: إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التألُّهِ، والتعبد، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبةُ العبد لربه، وتسبق جميعَ المحابِّ، وتَغْلِبها، ويكون لها الحكم عليها؛ بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه»[١٨].

فليس هو الإله المتسلط، الجبار، المنتقم من خلقه، كما تصوره كتب العهد القديم، أو الأساطير الإغريقية، أو هو العاشق لسفك الدماء، بل هو الودود، الرحيم، البرّ، الكريم جلّ جلاله.

وتتضح محاسن هذه العقيدة في هذا الجانب، في إيثارها الوسطية والتوازن بين الحب والخوف، فالله تعالى كما يُحب، يُخاف من بطشه، وكما تُرجى رحمته، لا يُؤمن مكره، مما يكون دافعًا للمؤمن إلى العمل وعدم اليأس والقنوط وقاطعًا للأماني والغرور.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

هذا وقد رُدّت مذاهب كثيرة قامت على تفسير ظاهرة التدين في الجنس البشري، بسبب اعتمادها على الخوف والرهبة من الطبيعة، وما يُرى من تقلباتها؛ لأن الخوف وحده لا يثمر إيمانًا حقيقيًا بل لا بد معه من رجاء وحب[١٩]، وهذا ما قامت عليه عقيدة الإسلام.

٧ – دعوة العقيدة للتوكل على الله تعالى والاعتماد عليه والتعلق به

والتوكل: «هو صدق اعتماد القلب على الله – عز وجل –، في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها»[٢٠].

وهذا بلا شك ناتج عن معرفة العبد بربه، وإيمانه بقدرته العظيمة الشاملة، وعلمه الذي أحاط بكل شيء، وأنه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا، وكذلك اليقين بأن الله تعالى إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، لا يمنعه من ذلك مانع، حين يعلم العبد ذلك، ينصرف اعتماده وتوكله على الله وحده، بحيث لا يتوكل على غيره أبدًا، قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

---

(١٧) ابن تيمية، ١٤٢٢هـ، ٢/٢٣٠.

(١٨) السعدي، د.ت، ص ١١٠.

(١٩) انظر: دراز، د.ت، ص ٤٧.

(٢٠) ابن رجب، ١٤١٨هـ، ص ٤٠٩.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

فثمرة التوكل العاجلة هي الإقدام على العمل في حزم، وإتيان الأسباب في غير توان، ووضع المقدمات في غير حيرة ولا تردد، مع طمأنينة القلب، وهدوء البال، واستراحة الضمير، فلا قلق للمتوكل على الله، ولا مخاوف تنتابه في الحياة[٢١].

كما دعت العقيدة الإسلامية إلى نبذ التواكل والضعف والاستكانة، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞۖ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ومن توكل على غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالتوكل على الموتى والغائبين ونحوهم في دفع المضار، وتحصيل المنافع والأرزاق والأولاد، فقد أشرك بالله الشرك الأكبر كما قال سبحانه: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

كما أن مما يعد من محاسن العقيدة أنها دعت المؤمن إلى الافتقار إلى الله، واللجوء إليه والدعاء كي ينال التوفيق والهداية، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الدعاء هو العبادة»[٢٢]. ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾.

٨ – الواسطة بين الإنسان وخالقه سبحانه

مما امتازت به العقيدة الإسلامية أنها جعلت الباب مفتوحًا دائما بين العبد وربه – عز وجل –، دون وسيطٍ أو حاجبٍ من ملَك أو رسول أو ولي... إلخ[٢٣].

بل جعلت اتخاذ الوسطاء في العبادة نوعًا من الإشراك بالله، ولذا نَعَى الله تعالى على المشركين عبادتهم للأصنام التي زعموا أنها تقربهم إليه. قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر: ٣].

كما وضح سبحانه أن أحدًا لا يملك الشفاعة لأحدٍ إلا بإذن من الله تعالى، بل إن هؤلاء المدعوين والوسائط أنفسهم يريدون الوسيلة التي تقربهم إلى الله، وترضّيه عنهم، قال عز من قائل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

(٢١) انظر: الدميجي، ١٤٢١هـ، ص ١٠٥ – ١٤٦.

(٢٢) رواه أبو داود، د.ت، ح (١٤٧٩)؛ والترمذي، ١٤١٧هـ، ح (٣٦١٢)، وقال حديث حسن صحيح.

(٢٣) انظر: ابن تيمية، ١٤٢٢هـ، ٧٨٦/٢؛ وابن القيم، د.ت، ١٤٤/١؛ والمقريزي، ١٩٩٧م، ص ٧.

يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فقد فتح الله كل طريقٍ يَلِجُ منه العبد إليه كي يناجيَه ويستغفرَه في أي وقت شاء، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فليس في الإسلام رجال كهنوت أو قساوسة يتوسطون للناس عند ربهم، أو يعترف المذنبون بين أيديهم بما اكتسبوا من خطايا؛ ليغفروها لهم[٢٤].

٩ – لا يعلم الغيب إلا الله تعالى

أكدت العقيدة الإسلامية على أهمية الإيمان بالغيب، وأكدت في الوقت نفسه على أن الإيمان بأن الله وحده هو – الذي يحيط بعلم الغيب – يعد من ركائز الإيمان العظيمة، أما البشر فليسوا مهيئين بتكوينهم هذا للاطلاع على شيء من الغيب، وليس البشر وحدهم، بل الجن، والملائكة، كل أولئك لا قِبل لهم بعلم الغيب، وأدلة القرآن في هذا كثيرة وواضحة[٢٥].

قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

وعليه فقد سد هذا الركنُ البابَ في وجه من يدَّعي علم الغيب، من العرافين، والكهنة، وغيرهم، وكان موقف الإسلام منهم حاسمًا حازمًا، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣]، بل جاء التحذير والوعيد لمن صدّقهم فيما يزعمون، أو ذهب إليهم، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[٢٦].

وقال – صلى الله عليه وسلم – أيضًا: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[٢٧].

ولا شك أن هذا المعتقَد يحقق للمسلم حفظ عقله، من اتباع الأوهام والخرافات، وأيضًا يحفظ عليه أمواله التي ينفقها لهؤلاء[٢٨].

---

(٢٤) انظر: الطهطاوي، ١٩٧٧م، ص ١٨٢؛ وانظر أيضًا: شلبي، د.ت، ص ٢٠٦.

(٢٥) انظر: الغنيمان، د.ت، ص ٢٣٣ – ٢٤٩.

(٢٦) رواه مسلم، ١٤١٦هـ، ح (٢٢٣٠)، كتاب *السلام*، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٢٧) رواه ابن حنبل، ١٤٢١هـ، ٤٢٩/٢، والبيهقي، ١٤١٥هـ، ١٣٥/٨، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب: هذا إسناد صحيح على شرط البخاري.

(٢٨) انظر: سلامة، ١٤٠٣هـ، ص ١٣ – ٣٨.

كما وجهت الشريعة الغراء أولي الأمر من هذه الأمة، للتصدي لهؤلاء، وإقامة الحدود والتعزيرات عليهم.

قال شارح *العقيدة الطحاوية*: «الواجب على ولي الأمر وكل قادر، أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والقالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو أن يدخلوا على الناس في منازلهم»[٢٩].

هذا وقد وجهت العقيدةُ المسلمَ إلى التفاؤل، واستحبت له ذلك، وكذلك أرشدته إلى الاستخارة والاستشارة من أولي النُّهى والتجربة، وجعلت كفارةَ التطير أو التشاؤم أن يقول المرء هذا الدعاء: «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»[٣٠].

المبحث الثاني

محاسن العقيدة في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر

١٠ – الملائكة الكرام ومكانتهم ووظائفهم في عقيدة الإسلام

يعد الإيمان بالملائكة الركنَ الثاني من أركان الإيمان الستة التي هي أصول الإيمان عند المسلمين.

والملائكة هم خلق من خلق الله، خلقوا من النور، وجعلهم الله طائعين متذللين له، ولبعضهم وظائف خصه الله بها.

وقد أجمل ابن القيم بعض أعمالهم فقال: «منهم أولياء الإنسان وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دينه ودنياه وآخرته... الخ»[٣١].

ومن محاسن العقيدة الإسلامية توضيح مكانة ووظيفة الملائكةِ الكرام ليزدادَ المسلمُ تعظيمًا ومحبة لهم، وحياءً منهم، وإكرامًا لهم، ونَفتْ عنهم ما نُسب إليهم من المشركين حيث قالوا: إنهم بنات الله. – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا – ، وحثت المؤمن على احترامهم وحبهم وإكرامهم، وعدم التعرض لهم بالأذى، وعدم الاعتداء بالقول وغيره.

كما بينت العقيدة الإسلامية مقام الملائكة وعباداتهم، فهم لا يستكبرون عن عبادة الله ويسبحونه وله يسجدون.

«ولفظ (المَلَك) يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ

(٢٩) انظر: الحنفي، ١٤٠٤هـ، ص ٥٦٨.

(٣٠) رواه ابن حنبل، ١٤٢١هـ، ٢/٢٣٠.

(٣١) ابن القيم، د.ت، ٢/١٢٥.

بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠] فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به. لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده: ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠]»[٣٢].

ونعى القرآن على اليهود بغضهم لجبريل – عليه السلام –، وهو من الملائكة الكرام، حيث قال اليهود: إنه عدو لنا، فرد الله عليهم قولهم: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨].

١١ – الأنبياء والرسل في العقيدة الإسلامية

من محاسن العقيدة الإسلامية توضيحُ حقيقة الأنبياء والرسل، ومكانتهم، ووظيفتهم، كما بينت واجبنا نحوهم كالإيمان بهم جميعًا، وتعظيمهم، واحترامهم، والقيام بجميع حقوقهم علينا – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين –.

يقول ابن القيم: «فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله ألبتة إلا على أيديهم... الخ»[٣٣].

كما بينت مكانتهم وخيريتهم على البشر؛ بما يدفع إلى توقيرهم، واتباع هديهم، كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٩ – ٩٠].

ومن أهم محاسن العقيدة الإسلامية الإيمان بجميع الأنبياء والرسل دون تفرقة بين أحد منهم بهوى أو رأي، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالمسلم يحب موسى وعيسى – عليهما السلام – كما يحب محمدًا – صلى الله عليه وسلم –، ويجلهما، ويكبرهما، كإجلاله محمدًا وإكباره إياه، واليهودي الذي دخل النصرانية لما جاء بها المسيح – عليه السلام – لم يخسر موسى – عليه السلام – ولكنه ربح معه عيسى – عليه السلام –، والنصراني الذي يدخل اليوم في الإسلام لا يخسر عيسى وموسى ولكنه يربح معهما محمدًا – صلى الله عليه وسلم –.

(٣٢) الحنفي، ١٤٠٤هـ، ص ٢٧٤، ٢٧٥.

(٣٣) ابن القيم، ١٤١٨هـ، ١/١٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب؛ ليكون الدين كله لله، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد»[٣٤]، فالدين واحد وإن تفرقت الشرعة والمنهاج، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦]»[٣٥].

والدفاع عن موسى – صلى الله عليه وسلم – وعيسى – صلى الله عليه وسلم – في العقيدة الإسلامية مثل الدفاع عن رسولنا – صلى الله عليه وسلم –، كما أوضحت العقيدة أن وظيفة الأنبياء هي تبليغ الرسالات، والدعوة إلى الله – تعالى –، والتبشير والإنذار، وإصلاح النفوس وتزكيتها، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة: ٢].

وليس من وظيفتهم تخليص البشرية من الخطيئة، ولا ورد مثله عن نبي من الأنبياء.

١٢ – دعوة العقيدة إلى الإيمان بالكتب السماوية جميعًا

من أسس الإيمان في الإسلام أن يؤمن المسلم ويصدق تصديقا جازما بما أوحى الله تعالى من كلامه إلى من اصطفى من رسله.

فينبغي الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب سماوية على وجه الإجمال، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال – عز وجل –: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقد جاء في القرآن الكريم بيانٌ شافٍ لكثير من الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسله – عليهم الصلاة والسلام – ، منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى – عليهما السلام –.

وقد ورد في آيات أخرى بعض ما جاء في هذه الكتب السماوية من أحكام وأخبار مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

---

(٣٤) أخرجه البخاري، ١٤٢٢هـ، بنحوه، ح (٣٤٤٣)؛ ومسلم، ١٤١٦هـ، ح (٢٣٦٥).

(٣٥) ابن تيمية، ١٤٢٦هـ، ٥٢٢/١١.

وقد وردت إشارات أيضًا تتحدث عن بعض ما جاء في صحف إبراهيم وموسى – عليهما السلام – كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٦ – ١٩].

وبعد فهذه الكتب التي ذكرت في القرآن بأسمائها، وصفاتها يؤمن بها المؤمن كما ذكرت مفصلة بلا زيادة ولا نقصان، ولا يجوز أن يؤمن ببعضها ويكفر ببعض تعصبًا أو تكبرًا. قال جل شأنه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد جاء القرآن الكريم مهيمنًا على هذه الكتب، ورقيبًا عليها وحفيظًا عليها ومعترفًا بصدقها ومقررًا لها، فقد حفظه الله من التحريف والتبديل والزيادة والنقص لفظًا ومعنى.

وجاءت آياته موافقة للكتب السابقة في كثير من الغايات والمقاصد والأصول التي لا تختلف باختلاف الشرائع والرسالات، فنجد فيه:

١ – الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر.

٢ – فيه توافق مع الكتب السابقة في أصول الشرائع كالصلاة والصيام والزكاة.

٣ – يتفق مع الكتب السابقة في الدعوة إلى الفضائل، والترغيب فيها، والترهيب من الرذائل والتنفير منها[٣٦].

١٣ – تفصيل العقيدة لأحوال الآخرة

لم تحظ الدار الآخرة – دار الجزاء – بتفصيلٍ وإيضاحٍ لمراحلها، ونوع الحياة فيها، وطبيعتها، مثلما حظيت به في العقيدة الإسلامية، فالآيات القرآنية في هذا الصدد أكثر من أن تحصى، علاوة على ذلك فإن ذكر نعيم الآخرة يبعث على قلة الركون إلى الدنيا، فيجعلها مزرعة للآخرة، يؤدي فيها المرء حق الله تعالى خضوعًا وعبادةً، ويدعوه كذلك إلى التهاون بأحزانها ومصائبها، والصبر عليها، وعلى مضض الشهوات؛ احتسابًا وثقةً بما عند الله من حسن الجزاء والثواب، كما أنه يدعو للتأهب والاستعداد للحساب، ويدعو أيضًا لاجتناب الظلم بكل صوره، ويزيد من شوق المرء إلى الجنة وما فيها.

أ) حتمية البعث بعد الموت:

قال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧].

ب) الجمع بين الأولين والآخرين:

قال تعالى: ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المرسلات: ٣٨].

---

(٣٦) انظر: الدوسري، ١٤٢٦هـ، ص ١٢١.

ج) صنوف النعيم لأهل الجنة:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٢ – ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾ [محمد: ١٥].

وعلى النقيض لم تذكر الدار الآخرة في الكتب السابقة التي حُرِّفت إلا قليلاً[٣٧].

ولأن الإنسان متعلق بما هو دائم وخالد والعقيدة متوافقة مع فطرته، نجدها تفصِّل له ما يتمنى حصوله له في الآخرة من خلود ونعيم...الخ بعدما أعلمته بحقيقة الدنيا وأنها زائلة وفانية[٣٨].

١٤ – القضاء والقدر في المعتقد الإسلامي

أولت العقيدة الإسلامية قضية القضاء والقدر اهتمامًا بالغًا بما يضمن للإنسان عزته وكرامته، ويرفعه عن الاستكانة والخضوع والإحباط.

فقد عُدَّ الإيمانُ بالقضاء والقدر خيره وشره من أصول الإيمان الستة، وجاءت الأدلة على الإيمان بالقدر من القرآن والسنة مفصلة ومبينة لحقيقة القضاء والقدر[٣٩]:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال عز من قائل: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٣].

ومن السنة النبوية قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»[٤٠].

على أن بيان العقيدة الإسلامية لمسألة القضاء والقدر يوافق مقتضى الفطرة الإنسانية التي رأت منذ عصر الجاهلية وما قبله أن شيئًا في الكون لا يقع إلا بمراد الله تعالى، ومن ثم احتج المشركون على شركهم بالقدر (خطأً) فقالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٣٥].

ويوافق العقل السليم الذي يدل صاحبه على أن الله تعالى هو خالق الكون، ومدبره، ولا يمكن أن يكون الكون على هذا النظام البديع من التآلف والتناسق إلا بتدبير مدبر – عز وجل –، فإذا تقرر هذا لدى العاقل علم أن ليس من الممكن أن يقع في ملك

(٣٧) انظر: الخلف، ١٤١٤هـ، ص ٨٥.

(٣٨) انظر: عواجي، ١٤١٧هـ، ٧٥/١، وابن القيم، د.ت، ٥/١.

(٣٩) المحمود، د.ت، ص ٤٥ – ٥٤.

(٤٠) رواه مسلم، ١٤١٦هـ، ح (٢٦٦٤).

الله إلا ما يريده، وما يقدره، يدلنا على هذا قوله جل شأنه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

ولذا جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر فقد نقض تكذيبُه توحيده»[٤١].

ومتى صح فَهمُ المسلم لعقيدة القضاء اطمأن قلبه لكل ما يجري في الكون مما لا كسب له فيه، ورضي بمراد الله مهما كان ذلك الأمر محزنًا أو سارًّا.

وفيما يأتي نذكر بعضًا من محاسن العقيدة في هذا الجانب:

الصبر والثبات عند الشدائد والملمات:

فإنه متى آمن المسلم بأن كل شيء بقدر الله، وأنه لن تصيبه مصيبة إلا بإذن الله و مشيئته ولحكمة أرادها – حين يعلم ذلك – يثبت قلبه ولا يجزع ولا يضطرب، وهذه من أعظم المحاسن، كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

يقول الكاتب المعروف (ر. ن. س. بودلي) في مقالة بعنوان (عشت في جنة الله): «وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلب على القلق؛ فهم بوصفهم مسلمين يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذًا سهلا هينًا، فهم لا يتعجلون أمرًا، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقًا على أمر، إنهم يؤمنون بأن «ما قدر يكون»، وأن الفرد منهم «لن يصيبه إلا ما كتب الله له»، وليس معنى هذا أنهم يتواكلون، أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي، كلا... لقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير»[٤٢].

القوة والثبات في الحق:

فالذي يؤمن بالقدر، يؤمن أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعت على أن تضره بشيء لن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

وكما جاء في قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز»[٤٣].

كذلك يؤمن بأن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، هذه العقيدة تنزع من قلوب معتنقيها الخوف والجبن والخور والتثاقل، بل تسكب في نفوسهم السكينة، وتغرس فيهم الشجاعة، وبذا يتحرر المرء من العبودية الهابطة للعباد ويرقى للعبودية السامية لله – عز وجل –.

القضاء على الحسد:

فإن من ضرورات الإيمان بالقدر أن يعلم المسلم

(٤١) انظر: ابن بطة، ١٤١٥هـ، ١٥٩/٢.

(٤٢) كارنيجي، د.ت، ص ٢٩١، ٢٩٥.

(٤٣) رواه مسلم، ١٤١٦هـ، ح (٢٦٦٤).

أن الأرزاق مقدرة كما الآجال، وأنه مهما سعى في طلب الرزق – وهو بلا شك مطالب بذلك – فإنه لن ينال إلا ما كُتب له، عندئذ ينقطع تطلعه لما في أيدي الآخرين متذكرًا قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

التخلص من العُجْب والغرور:

فطالما أن كل شيء مقدرٌ للإنسان، وأنه قد يبذل الأسباب كلها ولا يتحقق له مراده، فإن ذلك يدعوه إلى عدم الاعتداد بالنفس والعجب والغرور والتعالي[٤٤].

١٥ – الشيطان في ميزان الشريعة الإسلامية

لقد بينت العقيدة قدر الشيطان، وأظهرت حقيقة قدرته التي هولتها كتبُ النصارى المحرفة؛ حيث زعمت أن الشيطان له قدرةٌ هائلة، وقوة كبيرة يستطيع التسلط بها حتى على المؤمنين، كما يعتقدون أنه سبب لكثير من الأمراض بل سبب للموت[٤٥].

بينما صححت عقيدتنا هذا المفهوم، وذكرت أن عداوة الشيطان للإنسان قديمة ومستدامة، ولن يمكن أن يلتقيا على خير أبدًا، لكنها كشفت النقاب عن حدود الشيطان وقدراته؛ فالشيطان ليس يملك من الإنسان إلا الوسوسة فحسب، وليس له فوق ذلك قيد أنملة من التسلط أو التمكن من الإنسان ما دام مؤمنًا، وإنما هي مجرد وسوسة؛ لأنه لا سلطان له إلا على أوليائه من الإنس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

فكيده ضعيف مهما بلغ: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وعليه فقد أرشدت الآيات إلى سبل الوقاية منه، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقد صورت لنا آيات القرآن مشهد المحاجّة بين الشيطان والإنسان يوم القيامة، حين يُرجع الكافرُ سببَ خَسارته إلى كيد الشيطان، فيتبرأ حينذاك الشيطان منه، ومن غوايته، ويعلن أنه إنما وسوس له ليس إلا.

المبحث الثالث

محاسن العقيدة في نظرها للإنسان

١٦ – مكانة الإنسان في العقيدة الإسلامية

من محاسن العقيدة الإسلامية أنها أوضحت لنا مكانة الإنسان بين المخلوقات، وأصل خلقه وتكوينه، فقطعت المجال على الملاحدة وغيرهم ممن يتحدثون في خلق الإنسان وأصل تكوينه مثل دارون صاحب نظرية النشوء والارتقاء.

فالله – عز وجل – ابتدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل ذريته من سلالة من ماء مهين؛ إذ خلق

(٤٤) انظر: عيد، ١٤٢٠هـ، ص ١٣٥.

(٤٥) انظر: المدهون، ١٤٢٩هـ، ص ٢٧٢.

آدم من طين بيديه، ونفخ فيه من روحه، وخلق منه أنثاه، وعلمه الأسماء، وأسجد له ملائكة السماء، فسجدوا كلهم أجمعون، إلا إبليس أبى، ونهاه عن الأكل من الشجرة فنسى، فأكل منها فعصى وغوى، وتلقى كلمات منه تعالى، فقالها فتاب عليه وهداه، وأهبطه إلى الأرض خليفة فيها بعد أن هيأها له، وسخر له كل ما فيها.

قال تعالى عن خلق آدم: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص: ٧١ – ٧٤].

ثم علم الله تعالى آدم الأسماء والبيان قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١]، وقال جل جلاله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١ – ٤].

وكرم الله بني آدم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

١٧ – الحرية الإنسانية في الإسلام

من القضايا الشائكة قضية الجبر والاختيار، وهل الإنسان مخير أو مسير؟ وقد أثبتت العقيدة الإسلامية حريةً للإنسان ومشيئة يثاب ويعاقب بمقتضاها.

فقد أعطى الله الإنسان القدرةَ التي يستطيع بها أن يُقْدمَ على فعل الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف: ٢٩].

ومهما كانت قدرة الإنسان ومشيئته فهي لن تخرج عن قدرة الله ومشيئته، كما قال – عز وجل –: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨ – ٢٩].

على أن الإنسان لو كان مجبرًا في كل أعماله لما أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولما كلف الله الناس بالأمر والنهي؛ إذ سلب اختيارهم، ولا ريب أن هذا عبثٌ يتنزه عنه الحكيم العليم.

وإذا كان بعض أصحاب الرياسات والزعامات الدينية قد ادعى أن بإمكانه أن يحمل خطايا غيره، فإن الإسلام يفند هذا ويكذبه، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨].

١٨ – عدم مؤاخذة الإنسان بجرم غيره (المسئولية الفردية)

إذا كان العدل هو الصفة المميزة للإله فلا يمكن في شريعته أن يؤاخَذَ إنسانٌ ما بجرم وجريرة غيره. هذا ما أصلته العقيدة الإسلامية حين تقول: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٥].

إذن الأصل ألا يحمل الإنسان تبعة غيره؛ لأن هذا يتنافى ومبدأ العدل الذي أقرته شرائع السماء كافة.

من هذا نعلم فضل العقيدة، وكيف أنها عالجت

خطيئة آدم – عليه السلام – التي تحدثت عنها كتب النصارى دون قتل أو صلب، بل إن جزاء الخطيئة لحق فاعلها فقط وهو آدم – عليه السلام – وزوجه، ثم تاب الله عليه واجتباه واصطفاه.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢٢].

١٩ – الحفاظ على أمن المجتمع من خلال وسطية العقيدة

من أصول العقيدة الإسلامية وجوب اتباع أئمة المسلمين وطاعتهم في المعروف وعدم جواز الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩].

بل عدت الخروج عليهم ومفارقة الجماعة والموت على ذلك من صفات الجاهلية، وعند البخاري «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية»[٤٦]، وحذرت أيضًا من مناصبة حكام المسلمين العداء؛ إذ الحكم في الإسلام عملٌ تعبديٌ يُبتغى به وجه الله، وتُقام به الخلافة الإنسانية في الأرض.

كما حافظت العقيدة على وحدة الصف المسلم، ودعت إلى نبذ التطرف والتكفير؛ ذلك أن من مقررات العقيدة الصحيحة أن أصحاب الكبائر لا يكفرون، بل هم تحت المشيئة، كما هو مبسوط في مظانه.

فمتى كانت هذه عقيدة الإنسان فإنه يصبح من أبعد الناس عن الحكم على غيره من المسلمين بغيًا منه وجهلاً، ويكون من أشدهم نبذًا للتطرف والغلو الذي سام أصحابُه غيرَهم من المسلمين أشد الضرر وصنوف الأذى.

٢٠ – الولاء والبراء وصيانة حوزة المسلمين

الإسلام يحث المسلم أن يتلقى من غير المسلم ما ينفعه في شتى أنواع العلوم، والتعاون معه في الأمور الدنيوية لما فيه خير البشرية من تعاون في صناعة وتجارة وتعليم والمحافظة على البيئة ورعاية للمجتمعات مما يضرها.

ولكن الإسلام لا يبيح بل يرفض أن يتلقى المسلم أيَّ شيءٍ يتعلق بعقيدته من غير المسلم، حرصًا على صفاء العقيدة ونقائها ووحدة مصدرها.

وبما أن الأساس الأول لعقيدة الولاء هو الحب الذي يعدُّ الوشيجة العظمى التي يلتقي عليها المسلمون، فإن من لوازم هذا الحب أن يؤديَ المسلمُ الحقَّ إلى أخيه، وهذه الحقوق كثيرة جدًّا منها: نصرته، ومودته، وزيارته، وإكرامه، والسلام عليه، وحماية عرضه، والرد والذود عنه، ومواساته... الخ.

كذلك مما ينبني على عقيدة الولاء والبراء الدفاعُ بالنفس عن الأخ، وكسر شوكة الظالم له، وبذل المال

(٤٦) رواه البخاري، ١٤٢٢هـ، ح (٧٠٥٤).

لإعزازه وتقوية جانبه، والذب عن عرضه وسمعته، والدعاء له بظهر الغيب بالنصر والتوفيق، وتتبع أخبار المسلمين في أنحاء المعمورة، والوقوف على أحوالهم، ودعمهم بقدر الاستطاعة.

كذلك أيضًا من مقتضيات هذه العقيدة أن يبرأ المسلم من الكفار وأعوانهم دون أن يظلمهم أو يجور عليهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ [المائدة: ٨][٤٧]، وأن يحفظ عورات المسلمين عن أعدائهم خاصة وقت نشوب الحروب؛ ذلك أن التجسس خيانةٌ عظمى تسقط على ممارستها البلاد، وتصير معها حمى مستباحًا لكل ذي عدوان.

ومن ثم فإن العقيدة الإسلامية تقضي على هذا العمل بأنه صورة من صور الموالاة للكفار، والتي تعد من خوارم العقيدة ونواقضها، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٢١ – عدم الإكراه في الدين

تميزت العقيدة الإسلامية بميزةٍ فريدة متمثلة في عدم إكراه أحد من الخلق على الدخول في الإسلام، أو إجباره على اعتناقه، بل عدّتْ من دخل فيه من دون اقتناع، واختيار، وحب، من المنافقين الذين لا يُقبل إيمانهم ولا تنفعهم دعواهم.

وجاءت أصول العقيدة واضحًا غاية الوضوح، وهو قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومن خلال هذا المبدأ كفل الإسلام للناس في كل البلدان الحرية الدينية؛ فلم يجبر أحدًا على اعتناقه مكرهًا قهرًا، بل ترك الناسَ وما اختاروا لأنفسهم، ولذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

هذا مع القناعة التامة واليقين أن الإسلام هو الدين الحق المبين، وأن عقيدته هي الصواب، «فلغير المسلم أن يمارس حريته في العبادة والإيمان الكامل، شريطة ألا تمس هذه الممارسة دعوة لشرك أو فساد أو تعطيل لأداء المسلمين لشعائرهم أو طعنًا فيها، فهي حرية مكفولة ومسئولة لا [مطلقة]»[٤٨].

وقد ذكر ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴾ ما نصه: «لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضحٌ جلي في دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكْرِه أحدًا على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة»[٤٩].

---

(٤٧) انظر: ابن كثير، ١٤١٦هـ، ٦٢/٣.

(٤٨) ربيع، ١٤٠٨هـ، ص ١١٥.

(٤٩) انظر: ابن كثير، ١٤١٦هـ، ١ /٤١٦ – ٤١٧.

٢٢ – النية في الإسلام

من محاسن العقيدة الإسلامية أنها أولت النية اهتمامًا عظيمًا في وقتٍ ربطت فيه بينها وبين صحة العمل.

فقد قررت حصول الأجر عند وجود القصد الشريف، والنية الخالصة لله، حتى وإن لم يحصل العمل؛ ذلك بأن النيةَ تُعد أساس العمل وقاعدته، ورأس الأمر وعموده، ولذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إنما الأعمال بالنيات»[٥٠].

وقال – صلى الله عليه وسلم – أيضًا: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»[٥١].

وبالنية الطيبة تنقلب المباحات والعادات إلى طاعات وقربات إلى الله، فمن تناول غذاءه بنيةِ حفظ حياته وتقوية جسده، ليستطيع القيام بما أوجبه عليه ربه، من حقوق وتكاليف لأهله وأولاده، كان طعامه وشرابه مع النية الصالحة عبادة، ومن أتى شهوته مع ما أحله الله له من زوجة، يقصد إعفاف نفسه وأهله، وابتغاء ذرية صالحة، كان ذلك عبادة تستحق المثوبة والأجر من الله، وفي ذلك يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجرٌ؟! قال: «أليس إن وضعها في حرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر»[٥٢].

فالعقيدة التي تجعل الحياة خاضعة لمرضاة الرب تعالى بالنية الخالصة لله والقصد الحسن، مما يزيد من المظاهر الطيبة في حياة الناس، وخاصة فعل الخيرات وترك المنكرات، وزيادة الفاعلية في الحياة لتصور عظم الجزاء على ذلك في الدنيا راحة نفسية وطمأنينة قلبية، وفي الآخرة الجنة والنعيم.

٢٣ – العلاقة بين العقيدة والأخلاق

الدين هو الذي يحدد للإنسان سلوكه المستقيم، ويرسم له طريقًا موصلة إلى غايته، ثم يدفعه إلى السير فيها من خلال آيات الوعد والوعيد، وإظهار الحِكَمِ والعلل من هذه السلوكيات.

أما القانون وحده فلا يكفي لضبط سلوك الإنسان، كما أن القانون لا بد له من سلطان الحكومة حتى يُنفذ ويُراعى، وثَمّ ارتباطٌ وثيقٌ بين العقيدة والأخلاق، يوضحه قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد سئل: أي المؤمنين أكمل إيمانًا؟ قال: «أحسنهم خلقًا»[٥٣].

فالإيمان قوةٌ عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى المكرمات، ومن هنا فإن الله تعالى عندما يدعو إلى خيرٍ أو ينفر عن شرٍ يجعل ذلك من مقتضيات الإيمان به جل

(٥٠) رواه البخاري، ١٤٢٢هـ، ح (١).

(٥١) رواه البخاري، ١٤٢٢هـ، ح (٢٩٩٦).

(٥٢) رواه مسلم، ١٤١٦هـ، ح (٢٣٧٦).

(٥٣) أخرجه ابن ماجه، د.ت، ح (٤٢٥٩)؛ والحاكم، ١٤٢١هـ، ٥٤٠/٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وقال الذهبي: صحيح.

وعلا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

إن عقيدة المؤمن في الله أولا وفي الحساب والجزاء ثانيا تجعل ضميرَه في الحياة صحوًا يقظًا فهو يراقب نفسه، ويحاسبها، ويلومها. ولا ريب أن لهذا الضمير الحي الذي يتكون في ظل الإيمان والعقيدة أثرَه في مجالات الحياة كلها، يُلمس أثرُه في أداء الحقوق المالية، وكذا في الاعتراف بالجريمة، في شجاعةٍ وتحملٍ للعقوبة خشية من الله وطلبًا لمرضاته[٥٤].

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز – رحمه الله –: «والسر في أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره ولا يوضع في يده ولا عنقه ولا يجري في دمه ولا في عضلاته ولا في أعصابه، وإنما هو معنى إنساني روحاني أساسه الفكرة والعقيدة»[٥٥].

كما ربطت آيات القرآن بين الكفر بالله وإنكار ألوهيته، والكفر باليوم الآخر وبين سيئ الأخلاق في مثل قوله – عز وجل –: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٢].

٢٤ – العقيدة وموافقة الفطرة الإنسانية

جاءت العقيدة الإسلامية موافقة للفطرة الإنسانية السليمة، وملبية لندائها؛ إذ إن أول ما تتوجه إليه الفطرةُ السليمة هو إلهٌ خالقٌ لها ولهذا الكون، تتوجه إليه بالتوحيد اعتقادا، وبالعبادة انقيادًا وخضوعًا، وهذا ما جاء به الإسلام في جانب العقيدة[٥٦].

يقول برجسون في كتابه الأخلاق: «قد نرى أجيالا من الإنسانية على اختلاف عصورهم خلت من العلم والفن والفلسفة، ولكننا لا نعرف قط أن مجتمعًا لم يكن له دين»[٥٧].

والتوحيد الذي أمرت به العقيدة الإسلامية له انسجامٌ بالفطرة عجيب، ولذا قالت الرسل لأقوامهم كما يحكي القرآن: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وأبان الله تعالى أن الإيمان به وبما أنزله على رسله هي فطرة إنسانية، فقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال – عز وجل –: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الإيمان بالله فطري ضروري، وهو أشد رسوخًا من مبدأ العلم الرياضي كقولنا: الواحد نصف الاثنين»[٥٨].

---

(٥٤) انظر: *القيم الحضارية في السنة النبوية*، ١٤٢٨هـ، ٢٦١/١.

(٥٥) دراز، د.ت، ص ١٠١.

(٥٦) انظر: الطرازي، ١٤٠٥هـ، ص ٢٤ – ٤٠.

(٥٧) انظر: برجسون، ١٩٧١م، ص ٢١٠.

(٥٨) ابن تيمية، ١٤٢٦هـ، ١٥/٢.

إن النداءات الفطرية فينا تدعو لوجود خالق مهيمن عظيم، يجيب من دعاه، ويعطي من سأله، ويمده بالعون عند حلول الشدائد والمصائب.

فالإنسان دائمًا في حاجة إلى الإيمان والتدين، والعقيدة والدين ضرورة من ضرورات حياته، وحاجة من حاجات نفسه، فلا غنى له عن الإيمان بربه وعن عبادته بحال من الأحوال، ومن هنا لم تخل أمة وجدت على وجه الأرض ومنذ عهد الإنسان بالحياة من عقيدة ودين، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤].

قال بازماك المؤرخ الإغريقي مقررًا هذه الحقيقة: «وُجدت في التاريخ مدنٌ بلا حصون ولا قصور وبلا سدود ولا قناطر، ولكن لم توجد مدن بلا معابد...»[(٥٩)].

وحسب إنسانٍ إيمانُه واعتقادُه بالله يوافق شعوره الفطري والنتائج النظرية التي يتوصل إليها الباحثون والعلماء، أو أن يتفق شعوره مع إحساس الكثرة الكاثرة من المجموعة الإنسانية.

٢٥ – موازنة العقيدة بين حاجات الإنسان الروحية والجسدية

مما تميزت به العقيدة الإسلامية، الواقعيةُ والبعدُ عن الأفلاطونية المثالية والتهويم في الخيال، حيث راعت احتياجاتِ الإنسانِ بحسب تكويناته الروحية والجسدية.

ولسنا نعني بالواقعية الرضا بالواقع أيًّا كان وضعه، أو تكييف مبادئ العقيدة حتى تساير واقعيةَ الحياة دون اعتبارٍ أو حكمة؛ ولكن نعني بالواقعية أن العقيدة تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي والأثر الواقعي الإيجابي، بمعنى أنها تتعامل مع الحقيقة الإلهية متمثلة في آثارها الإيجابية، وتتعامل مع الحقيقة الكونية متمثلة في مشاهدها المحسوسة المؤثرة أو المتأثرة.

وتتعامل مع الحقيقة الإنسانية كما هي في الواقع من حيث كونها مركبةً من روح ومادة، ودم وأعصاب وغرائز، يدل على ذلك اعترافُها بخلقة الإنسان، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [المؤمنون: ١٢].

ويقول أيضا – عز وجل –: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

فهذه الآيات تعترف بخصائص الإنسان ونفسيته، وتتعامل معه وفقها وما تقتضيه، ومن ناحية أخرى نرى موافقة العقيدةِ للتركيبة البشرية من حيث المنهج الذي تقدمه له؛ فهو منهج يتفق وطبيعة الإنسان، وإمكاناته وطاقاته الحقيقية، وكما يقال: «هذه الواقعية واقعية مثالية أو مثالية واقعية».

(٥٩) انظر: الجزائري، ١٤١٩هـ، ص ٢٦، ٢٧.

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال جل جلاله: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ ﴾ [النساء: ٣٤].

٢٦ – بيان العقيدة طريق النجاة للإنسان في الدنيا والآخرة

رسمت العقيدةُ للإنسان البرنامجَ العملي الذي لو سلكه كُتب له التوفيقُ في دنياه وآخرته؛ ذلك أن الله – عز وجل – لم يخلق الإنسان في هذه الحياة هملا، ولم يتركه سدى، بل رسم له طريق السعادة، وهيأ له أسبابه، ومكنه من معرفته؛ بإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: ٣٦].

وبين سبحانه الغاية الأولى من خلقه، فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

إذن طريق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة هي العبوديةُ لله كما أرادها، وامتثال الأمر واجتناب النهي.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمجموعة من العبادات والمعاملات والسلوكيات من شأنها أن ترتقيَ بالمسلم، وتأخذ بناصيته نحو السمو والسعادة والطمأنينة التي ينشدها كل إنسان.

ولقد حوى القرآن والسنة المطهرة صفاتٍ لهذا الطريق وعلاماته، حتى قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي»[٦٠].

ولقد قال المولى جلت قدرته: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

٢٧ – الإيمان بالغيب وضرورة البشر إليه

إن من أصول الإيمان بالله تعالى أن يؤمن المسلم بالغيب كما أخبر به القرآن الكريم، وكما جاء على لسان النبي – صلى الله عليه وسلم – ؛ ولذا كان الإيمان به أول صفة للمتقين كما في بداية سورة البقرة ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣].

على أن الإيمان بالغيب يعد ضرورةً بشريةً ملحةً، لا يمكن الاستغناء عنها بحال، يشهد لذلك الواقع المعيشي، والدراسات النفسية.

الإيمان بالغيب ضرورة بشرية من حيث إن أحكام بنية الإنسان مع كثرة بدائعها وعجائبها، ثم نقصها وهدمها، يدل على أن هناك حياةً أخرى، وخاصية النظر في العواقب التي امتاز بها الإنسان لم يجعلها الله فيه إلا لأمر جعله الله له في العقبى[٦١].

▪ كما يرى وحيد الدين خان الضرورة البشرية للإيمان بالغيب من الجانب النفسي فيقول: «...فإن كان

---

(٦٠) رواه مسلم، ١٤١٦هـ، ح (٤٤٢٥).

(٦١) انظر: الراغب الأصفهاني، د.ت، ص ١٠٤.

الملحدون يعللون فكرة الآخرة بأن الناس اخترعوها ليعزُّوا أنفسهم من القهر الدنيوي والموت، فمع هذا فإن هذه الفكرة تدل على شيء، فكما أن الظمأ يدل على الماء، فكذلك التفكير في الآخرة يدل عليها، وهذا المطلب النفسي منذ أقدم العصور لا يمكن رفضه واعتباره باطلا بكل سهولة»[٦٢].

ومن الواقع نرى مدى التهافت البشري والرغبة الجامحة في تعرف المستقبل الذي هو بلا شك من الغيب، نرى ذلك من خلال هذه الكثرة التي تتهافت على قراءة الأبراج المنتشرة في الصحف، وزيادة عدد المشعوذين والدجاجلة في أقطار العالم الذين يدعون معرفة الغيب، والتكهن بالمستقبل وما يحمله من أمل أو ألم...

وقد جاءت شكوى الغرب من طغيان المادة وأثر ذلك على المجتمع الأمريكي – خاصة – على لسان وزير خارجية أمريكا (فوستر دالاس)، إذ يقول: «إن هناك شيئًا ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج وفي هذه الحالة النفسية»[٦٣].

٢٨ – المقاصد الإنسانية في العقيدة الإسلامية

بما أن الدين الصحيح هو الذي يعطي التصور الصحيح للكون والإنسان والخالق جل جلاله، فإنه يسعى في مصلحة الإنسان، ويهديه إليها، ويدعوه للحرص عليها كجزء من اعتقاده الصحيح حول الإنسان وكرامته.

لأجل هذا جاءت العقيدة لمراعاة ضروريات الإنسان، وصيانتها، وجاءت تشريعات الدين وفقًا لهذه المصالح والأصول، ومن أعظم مصالح الشريعة خمسة أمور:

- المحافظة على الدين الذي به عيش النفوس وزكاتها.
- المحافظة على الأنفس.
- المحافظة على العقول.
- المحافظة على الأموال.
- المحافظة على النسل[٦٤].

٢٩ – شفاء حيرة الإنسان بالعقيدة الصحيحة

استطاعت العقيدة أن تجيب على تساؤلات لطالما حيرت الإنسان قديمًا وحديثًا، وكادت حيرته أن تفتك به.

بل دعت هذه الحيرة أحد الشعراء – وهو إيليا أبو ماضي – أن يتساءل قائلا:

جئتُ لا أعلمُ من أينَ، ولكني أتيتُ
ولقدْ أبصرتُ قُدَّامِي طريقًا فمشيتُ

هناك ثلاثة أسئلة تلح على الإنسان في داخله، وتضعه أمام مشكلات ثلاث تستلزم حلها. فإما أن يعيش في قلق وحيرة تجاهها، وإما أن يطرحها عن فكره طرحًا كليًّا ويعيش في دوامة كما تسيره حياته

(٦٢) انظر: خان، د.ت، ص ٨٢.

(٦٣) دالاس، د.ت، ص ٣٣٧.

(٦٤) انظر: النجار، ٢٠٠٦م، ص ٥٩ – ٢٠٣؛ ومير علي، ١٤٣٠هـ، ٦١٧/٢، وما بعده.

ومطالبها، وإما أن يظفر بحلها حلا صحيحًا يطمئن إليه قلبُه وتهدأ إليه نفسُه، فيسير في حياته بهديه.

- من الذي أوجدني بعد أن لم أكن شيئًا مذكورا؟

- ما هي الغاية التي وجدت من أجلها مزودا بتلك الخصائص؟

- إلى أين المصير بعد عبور جسر الحياة، وما هي النتائج التي تترتب على أعمالي فيها؟

هذه هي الأسئلة، وقد أعطتنا العقيدة الإسلامية الأجوبة عليها، ولفتت أنظارنا إلى الأدلة والبراهين العقلية والواقعية التي تدل عليها.

فأبانت لنا أن (الله) هو الذي أوجدنا من العدم، وقدّمت لنا الأدلة على ذلك من الكون ومن أنفسنا.

كما أوضحت لنا حكمة الله من خلقنا ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وجعلنا بهذه الخصائص، ليمتحننَا، ويبلوَ إرادتنا في ظروف هذه الحياة، وقدّمت لنا الأدلة المنطقية على ذلك مستندة إلى حكمة الخالق وعلمه وقدرته.

كما أبانت لنا أيضًا أن وراء هذا الامتحان حكمةً، هي الجزاء بالثواب أو بالعقاب، وأن الجزاء الأمثل لا يكون في ظروف هذه الحياة، وإنما ادخره الله – عز وجل – لحياة الآخرة التي إليها المصير. فحين يجد الإنسان الجواب الصحيح على هذه الأسئلة تنحلُّ لديه المشكلات الكبرى في تصوراته لهذه الحياة، وتتضح له معالم الطريق الذي يجب عليه أن يسلكه.

٣٠ – التحذير من تكفير المسلم وبيان آثار ذلك

من محاسن عقيدة الإسلام التحذير من التكفير، فلا يجوز الحكم على المسلم بالتكفير إلا ببرهان واضح ودليل ساطع، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما»[٦٥]، وعن ثابت بن الضحاك ت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «من رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله»[٦٦].

وهذا وعيد عظيم لمن كفَّر أحدًا من المسلمين، وليس هو كذلك. فهذا الحديث وأمثاله فيه التحذير من التكفير والزجر عنه، لأنه حكم شرعي مضبوط بضوابط معلومة من نصوص الكتاب والسنة، فلا يصار إليه بمجرد الهوى والجهل[٦٧].

وأنكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أسامة حينما قتل من قال: لا إله إلا الله، فعن أسامة بن زيد – رضي الله عنه – قال: بعثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله. فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي – صلى الله عليه وسلم – ، فقال رسول الله – صلى الله عليه

(٦٥) رواه البخاري، ١٤٢٢هـ، ح (٦١٠٣).

(٦٦) رواه البخاري، ١٤٢٢هـ، ح (٦١٠)؛ ومسلم مختصراً، ١٤١٦هـ، ح (١١٠).

(٦٧) انظر: اللويحق، د.ت، ص ٢٥١ – ٣٧٤.

وسلم –: «أقال: (لا إله إلا الله) وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!»، فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[٦٨].

٣١ – محاسن العقيدة الإسلامية في رعاية أهل الذمة

تمتع غير المسلمين المقيمون في بلاد المسلمين بسلسلة من الضمانات التي منحها لهم المجتمع المسلم بهدي من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، ولسوف نعرض لأهم هذه الضمانات، التي وردت في العقيدة الإسلامية من خلال مصدريها القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ومن هذه الضمانات:

أولاً: ضمان حرية المعتقد

لم يعمد المسلمون طوال تاريخهم الحضاري إلى إجبار الشعوب أو الأفراد الذين تحت ولايتهم على الإسلام، وذلك أن العقيدة أكدت على أمور كان ينبغي عليهم مراعاتها، ومنها[٦٩]:

• **حتمية الخلاف وطبيعته:** فقد خلق الله الإنسانية وفق هذه السنة الكونية، فاختلافهم في شرائعهم واقعٌ بمشيئة الله تعالى ومرتبطٌ بحكمته، يقول الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال أيضا – عز وجل –: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨].

قال ابن كثير: «أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم...».

ولما كان الاختلاف والتّعدّد آية من آيات الله، فإنّ الذي يسعى لإلغاء هذا التّعدّد كليةً فإنما يروم محالاً، ويطلب ممتنعًا، لذا كان لا بد من الاعتراف بالاختلاف[٧٠].

• **مهمة المسلمين الدعوة إلى الله لا أسلمة الناس، وعرض الإسلام لا فرضه:** أكدت العقيدة الإسلامية أن مهمة الدعاة هي: إبلاغ الناس آيات الله، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وجدالهم بالتي هي أحسن دون إجبار أو اضطرار، قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢].

• **تكريم النفس الإنسانية:** كرم الله تعالى الجنس البشري على سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم

(٦٨) رواه البخاري، ١٤٢٢هـ، ح (٤٢٦٩، ٦٨٧٢)؛ ومسلم، ١٤١٦هـ، ح (٩٦).

(٦٩) انظر: القاسم، ١٤٣٠هـ، ص ١٤.

(٧٠) انظر: البار، ١٤٢٥هـ، ص ٥٢، والشنيبر، د.ت، ص ٣٠٠ – ٣٢٠.

مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وأكد نبينا – صلى الله عليه وسلم – وصحبه احترام النفس الإنسانية، ففي الخبر أن سهل بن حنيف وقيس بن سعد كانا قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – مرت به جنازة فقام. فقيل له: إنها جنازة يهودي؟! فقال: «أليست نفسًا»[٧١].

ومن تكريم الله للجنس البشري ما وهبه من العقل الذي يميز به بين الحق والباطل، ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، وبموجبه وهبه الحرية والإرادة الحرة لاختيار ما يشاء، ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]، وعليه فالإنسان يختار ما يشاء من المعتقد، والله يتولى في الآخرة حسابه.

ثانيًا: حرية ممارسة العبادة

ضمنت العقيدة الإسلامية لأهل الذمة الحفاظ على مقدساتهم وشعائرهم ضمن الحماية الكاملة لهم ما داموا في بلاد المسلمين وتحت سلطانهم، يقول ابن سعد: «كتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأسقف بني الحارث بن كعب، وأساقفة نجران، وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم: أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم ورهبانهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا كاهن عن كهانته»[٧٢].

ويمتد أمان الذمي على ماله، ولو كان خمرًا أو خنزيرًا، وينقل الطحاوي إجماعَ المسلمين على حرية أهل الذمة في أكل الخنازير والخمر وغيره مما يحل في دينهم، فيقول: «وأجمعوا على أنه ليس للإمام منع أهل الذمة من شرب الخمر وأكل لحم الخنازير واتخاذ المساكن التي صالحوا عليها، إذا كان مِصرًا ليس فيه أهل إسلام (أي في بلادهم التي هم فيها الكثرة)»[٧٣].

وينقل العيني عن الزهري قوله: «مضت السنة أن يُرَدَّ أهلُ الذمة في حقوقهم ومعاملاتهم ومواريثهم إلى أهل دينهم؛ إلا أن يأتوا راغبين في حكمنا، فنحكم بينهم بكتاب الله تعالى»[٧٤].

ثالثًا: حسن العشرة والمعاملة الحسنة

كما أمرت العقيدة الإسلامية المسلمين ببر مخالفيهم في الدين، الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، فقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

قال الطبري: «عنى بذلك لا ينهاكم الله عن

---

(٧١) رواه البخاري، ١٤٢٢هـ، ح (١٣١٢)؛ ومسلم، ١٤١٦هـ، ح (٦٩٠).

(٧٢) ابن سعد، ١٤٢١هـ، ١/ ٢٦٦.

(٧٣) الطبري، د.ت، ص ٢٣٣.

(٧٤) العيني، ١٤٢١هـ، ١٦/١٦.

الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم.. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ يقول: إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم»[٧٥].

رابعًا: العدل في معاملتهم ورفع الظلم عنهم

لقد أمر القرآن الكريم بالعدل، وخصَّ – بمزيد تأكيده – على العدل مع المخالفين الذين قد يظلمهم المرء بسبب الاختلاف والنفرة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

قال القرطبي: «ودلت الآية أيضًا على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يُقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المُثلة بهم غير جائزة، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا، وغمّونا بذلك؛ فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصدًا لإيصال الغم والحزن إليهم»[٧٦].

تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هنوكه: «العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها؛ سمح لهم جميعًا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟»[٧٧].

المبحث الرابع

محاسن العقيدة في الجانب العلمي

٣٢ – نصب الأدلة والبراهين على صحة العقيدة

حثت العقيدة العقولَ على النظر والاستدلال، لتصل بالبرهان والدليل إلى معرفة الله وتعظيمه، والقيام بحقوقه.

- فتجدها تارة تلفت النظر إلى أنه لا يمكن أن يوجد المخلوق هكذا، ولا أن يوجد من دون موجد ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥].
- أما كون الإنسان موجدًا لنفسه فهذا أمر ما ادعاه الخلق، وأما وجود الإنسان هكذا من غير موجد، فأمر ينكره منطق الفطرة ابتداء، ولا يحتاج إلى كثير جدل، وإذا كان هذان الفرضان باطلين، فإنه لا يبقى إلا الحقيقة التي يقولها القرآن وهي أن الخلق خلقه الله الواحد الأحد.
- وتارة تدعو إلى النظر في السماوات والأرض،

(٧٥) الطبري، ١٤٠٨هـ، ١٣/٦٣.

(٧٦) القرطبي، ١٤٠٦هـ، ٦/١١٠.

(٧٧) هنوكه، ١٤١٣هـ، ص ٣٦٤.

فهل هم خلقوها، إذ لم تخلق نفسها، كما أنهم لم يخلقوا أنفسهم.

▪ وتارة تفتح أمام العقل والبصر صحيفة السماء، وما حوت من شمس مشرقة، وقمر منير ونجم مضيء، فيقول – عز وجل –: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وفي الآية الأخرى يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

▪ ومرة تلفت النظر إلى الأرض، وما فيها من أشجار متنوعة، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

▪ ومرة تلفت النظر إلى ما ينزل من السماء من الماء الذي به قوام الحياة، ولو شاء لجعله أجاجًا لا نفع فيه، ومرة يتحدث عن وحدانيته وانفراده بالملك والتدبير، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وفي الآية الأخرى يقول – عز وجل – في جزالة لفظ، وفخامة معنى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، إلى غير ذلك من الأدلة. وأدلة الخلق في الأنفس والكون مؤيدة بالمنطق العقلي الذي لا يمكن أن يحيل الدقة العجيبة في الكون والخلق عمومًا إلى الطبيعة أو غيرها، ولا ينسبها إلى الله الخالق – عز وجل –.

٣٣ – دور العقل في أصول الاعتقاد الإسلامي

من محاسن العقيدة الإسلامية أنها لم تلغ العقل ودوره في فهم ومعرفة الأصول الاعتقادية، فهو لا يتناقض مع الأصول النصية النقلية، بل ما صرح منه اتفق مع ما صح منها لا محالة.

وهو شرط في التكليف، وآلة للتمييز بين الحسن والقبيح، ولولاه لم يكن تكليفٌ، ولا توجه أمر ولا نهي، لكنه دائمًا يحتاج إلى هداية الوحي وتنبيه الرسل لتقويمه وتأييده.

وإذا كانت القضية الأساسية في المعتقد الإسلامي هي الإيمان بالله، وأمكن إثباتها بالعقل المجرد عن الهوى من خلال النظر في آيات الله المبثوثة في الكون، فإن كل قضايا العقيدة الأخرى تابعة لهذا الأصل العظيم، فإذا آمنت بالله فلا بد أن تؤمن بكل ما أخبر به في كتابه العزيز وما أعلم به رسله الكرام الذين اختارهم من بين خلقه لتبليغ رسالته إلى البشر[٧٨].

فقد دلل القرآن الكريم على إمكانية البعث بأدلة عقلية يقينية قاطعة منها:

(٧٨) انظر: العريفي، د.ت، ص ١٨٩، وما بعدها.

- خلق الإنسان أول مرة.
- وخلق السماوات والأرض.
- وإحياء الأرض بعد موتها.
- وإخراج النقيض من النقيض.

كما دلل على حكمته – سبحانه – بالعدالة الإلهية في إثابة المحسن وعقوبة المسيء، قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم: ٣١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل»(٧٩).

وفي موضع ثان يقول: «القرآن جاء بالأدلة العقلية على أكمل وجه، على أصول الدين من الإلهيات والنبوات والسمعيات وغيرها»(٨٠).

وفي موضع ثالث يقول: «وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية وإن كان معلوما بالفطرة الضرورية البديهية، وبالشرعية النبوية الإلهية، فهو أيضًا معلوم بالأمثال المضروبة التي هي المقاييس العقلية»(٨١).

٣٤ – مكانة العلم والعلماء في العقيدة الإسلامية

أشادت العقيدة الإسلامية بالعلم والعلماء، ورفعت من شأنهما، وحثت على تعلّم العلوم جميعها بما يَصلح به أمر الدين والدنيا، ولا عجب فقد قررت العقيدة الأصول الإيمانية بأدلة برهانية لا تخالف عقلا صريحًا، ولذا تكرر قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

والناظر في آيات القرآن يرى مدى التكريم الذي حظي به العلماء في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال – عز وجل –: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد نعت آيات القرآن على الكافرين تقليدهم الأعمى لآبائهم تقليدًا لا يستند إلى دليل أو برهان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

قال القرطبي: «قال ابن عطية: أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد»(٨٢).

٣٥ – منع العقيدة التطير والتشاؤم واستحبابها الفأل الحسن

وكما حرم الإسلام ادعاء علم الغيب، اتجه

(٧٩) ابن تيمية، ١٤٢٦هـ، ١١/٤٩٠.
(٨٠) ابن تيمية، ١٤٢٦هـ، ٣/١٩٦.
(٨١) ابن تيمية، ١٤٢٦هـ، ٢/٣٧.
(٨٢) القرطبي، ١٤٠٦هـ، ٣/ ١٤٣.

أيضًا نحو باطن المسلم ونفسه، التي عادةً ما تنزع إلى التطير أو التشاؤم، فأكد أن الطِّيَرة بأنواعها لا تضر المرء ولا تنفعه، علاوة على أنها من قوادح العقيدة وخورامها لما فيها من سوء ظن بالله، وعدم تفويض الأمر إليه، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر»[٨٣].

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، والفأل الصالح: الكلمة الحسنة»[٨٤].

والتطير يجعل أبواب الوساوس تنفتح على المرء من كل مكان؛ حيث يدخل عليه الشيطان من خلالها، في المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى، بما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، فهي نوع جهالة في التفكير، وسفه في العقل، ولذا لا تجد متطيرًا إلا وعنده لوثة من عقل، وسفه يجرُّه إلى موابئ العرّافين والدجّالين، ويوقف كثيرًا من قراراته ومسارات حياته على إيحاءاتهم وتكهناتهم المضلة.

كما شددت العقيدة على حرمة تعاطي ما تنكره العقول، وتنفر منه، كاعتقاد التأثير في العدوى والأنواء وغيرها، واعتقاد أن الغول تتراءى للناس في الفلوات، فتتغول لهم – أي: تتلون لهم – في صور شتى؛ لتضلهم عن الطريق فتهلكهم، فأبطلت العقيدة الإسلامية ذلك[٨٥].

كما كان موقفها من اعتقاد تأثير النجوم على الحوادث الأرضية صريحًا، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد»[٨٦].

والمقصود: النهي عن اعتقاد أن للنجوم في سيرها واجتماعها وتفرقها تأثيرًا على الحوادث الأرضية، وهو ما يسمى بعلم التأثير، أما علم التسيير – وهو: الاستدلال عن طريق المشاهدة بسير النجوم على جهة الشرق أو ا لشمال ونحو ذلك – فجائز[٨٧].

٣٦ – وسطية العقيدة الإسلامية

تُعدُّ العقيدةُ والنظرة الإسلامية للكون والحياة وسطًا بين الأفكار والمذاهب قديمًا وحديثًا؛ ذلك بأن فكرًا ضالاً ينكر وجود الخالق – بل ينكر كل ما وراء الطبيعة المحسوسة – وهو ما يعرف بالإلحاد، وفكرًا على النقيض منه يزعم أن للعالم أكثر من إله ويقول بالتعدد، أو يمثل الإله بخلقه ومخلوقاته، بين هذا وذاك تقف العقيدة الإسلامية موقفًا وسطًا، فتثبت وجود

(٨٣) رواه البخاري، ١٤٢٢هـ، ح (٥٣٨٧).

(٨٤) رواه ابن ماجه، د.ت، ح (٣٥٣٦)؛ وانظر: الألباني، د.ت، ص ٧٨٦.

(٨٥) انظر: ابن الأثير، ١٩٩٧م، ٣٩٦/٣.

(٨٦) رواه أبو داود، د.ت، ح (٣٩٠٥)؛ وابن ماجه، د.ت، ح (٣٧٢٦)، ورجاله ثقات.

(٨٧) انظر: الخطابي، د.ت، ٢٢٩/٤ – ٢٣٠.

الله، وتبرأ من الشرك والوثنية، والتشبيه والتمثيل لله – عز وجل –، تفرده وتوحده ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً[٨٨].

▪ وعقيدة أهل السنة والجماعة وسط بين عقائد فرق الضلال المنتسبة إلى الإسلام من خوارج ومرجئة وقدرية وجبرية ومعتزلة، على ما هو مفصل في كتب العقيدة.

قال شيخ الإسلام: «فإن الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة، والسنة في الإسلام كالإسلام في الملل، فالمسلمون في صفات الله تعالى وسطٌ بين اليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، وهي صفات النقص، فقالوا: إن الله فقير، وإن الله بخيل، وإن الله تعب لما خلق العالم فاستراح؛ وبين النصارى الذين شبهوا المخلوق بالخالق، فوصفوه بالصفات المختصة بالخالق، فقالوا: هو الله. والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص...»[٨٩].

تتجلى أيضًا وسطية العقيدة في التوازن في علاقة العبد بربه بين موجبات الخوف والرهبة وموجبات الأمن والطمأنينة.

فصفات الله الفاعلة في هذا الكون وفي حياة الناس والأحياء تجمع بين هذا الإيمان وذاك في توازن تام، وبهذا يسير الإنسان في حياته وهو بين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وبهذا يقع التوازن في علاقة العبد بربه، ولا يخفى ما لهذا من أثرٍ طيب على الإنسان، حيث تستقيم حياته ويسير ثابت الخُطا، لا يستهتر ولا يغفل في الوقت نفسه، عنده أمل في رحمة الله إن زل أو أخطأ.

الخاتمة

مما سبق يتضح لنا محاسن العقيدة الإسلامية في جميع النواحي التي تكتنف حياة الإنسان، ابتداء من تساؤلاته عن الوجود والحياة والمصير، مرورًا بصلته بربه، ومعاملاته مع بني جلدته من المسلمين وغيرهم، وانتهاء بتفصيل الحياة الأبدية في الآخرة.

كما اتضح لنا مدى مواءمة هذه العقيدة لفطرة الإنسان، وتلبيتها لحاجاته البشرية، وتميزها عن غيرها من العقائد المنحرفة بالوسطية والاعتدال، والبعد عن الغلو والتطرف، ودعوتها للسلام من خلال الربط الوثيق بين الإيمان والأخلاق الفاضلة، ورعاية أهل الملل الأخرى في ظل دولة الإسلام، وحرصها على العلم ورعاية العلماء، وإيمانها العميق بضرورة التسليم فيما يقوم عليه دليل من الكتاب وصحيح والسنة.

وهكذا تتجلى حقائق هذا الدين ببيان بعض من محاسنه على المستوى العقدي، والتشريعي والخلقي فيما يكفل للإنسان الحياة السعيدة، ويحقق له ما تصبو إليه نفسه من الراحة والطمأنينة، ويبعده عن المخاوف والهواجس التي يموج بها عالم اليوم في ظل حضارة

(٨٨) انظر: العمر، ١٤١٣هـ، ص ١٣٧ – ١٥٥.

(٨٩) ابن تيمية، د.ت، ٣١٠/٢.

مادية قاتلة خمدت فيها روح الإيمان وأصابها الجفاف.

فما أحوج البشرية اليوم إلى الرجوع إلى هذا الدين عقيدة وشريعة وخلقًا مستمدة حقائقه من مصدريه الصافيين: كتاب الله، وسنة رسوله الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. *النهاية في غريب الحديث والأثر.* تحقيق: صلاح محمد عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

ابن بطة، عبيد الله بن محمد. *الإبانة الكبرى.* تحقيق: عثمان الأثيوبي. ط١. الرياض: دار الراية، الرياض، ١٤١٥هـ.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.* تحقيق: ناصر العقل، ط٢. الرياض: دار العاصمة، ١٤٢٢هـ.

ـــــــــــ، *جامع الرسائل.* تحقيق: محمد رشاد سالم. ط١. الرياض: دار العطاء، ١٤٢٢هـ.

ـــــــــــ، *كتاب الصفدية. القاهرة:* مكتبة ابن تيمية، د.ت.

ـــــــــــ، مجموع الفتاوى. تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار. ط٣. مصر: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. *المسند.* تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين. *جامع العلوم والحكم.* تحقيق: عبد المنعم إبراهيم. ط١. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٨هـ.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد. *الطبقات الكبرى.* تحقيق: محمد علي عمير. ط١. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.* تحقيق وتعليق: مجدي فتحي السيد. القاهرة: دار الحديث، د.ت.

ـــــــــــ، *حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.* القاهرة: مطبعة المدني، د.ت.

ـــــــــــ، *زاد المعاد في هدي خير العباد.* ط٣. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ.

ـــــــــــ، *مدارج السالكين.* تحقيق: رضوان جامع. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر، د.ت.

ـــــــــــ، *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.* ط١. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. *تفسير القرآن العظيم.* ط١. الرياض: دار السلام، ١٤١٦هـ.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد. *سنن ابن ماجه.*

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. مصر: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. *سنن أبي داود*. ط١. الأردن: بيت الأفكار الدولية، د.ت.

الألباني، محمد ناصر الدين. *سلسلة الأحاديث الصحيحة*. ط٢. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د.ت.

البار، محمد علي. *معاملة غير المسلمين*. ط١. دمشق: دار القلم، ١٤٢٥هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل. *الجامع المسند الصحيح*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر. ط١. مصر: نشرة طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

برجسون، هنري. *كتاب الأخلاق والدين*. ترجمة: سامي الدروبي وزميله. ط١. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

البيضاوي، أبو الخير عبدالله بن عمر. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. ط٢. مصر: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٨٨هـ.

البيهقي، أحمد بن الحسين. *السنن الصغرى*. تحقيق: بهجة يوسف. ط١. بيروت: دار الجيل، ١٤١٥هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى. *سنن الترمذي*. تحقيق: العلامة الألباني. ط١. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ.

الجزائري، أبو بكر. *عقيدة المؤمن*. ط٤. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٩هـ.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. *المستدرك على الصحيحين*. إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي. ط١. بيروت: دار المعرفة، ١٤٢١هـ.

حبنكة، عبد الرحمن حسن. *العقيدة الإسلامية وأسسها*. ط٥. دمشق: دار القلم، د.ت.

الحنفي، ابن أبو العز. *شرح العقيدة الطحاوية. تحقيق: جماعة من العلماء*، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني. ط٨. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

خان، وحيد الدين. *الإسلام يتحدى*. ط٦. القاهرة: المختار الإسلامي، د.ت.

الخطابي، أبو سليمان. *معالم السنن*. جمع: عبد السلم عبد الشافي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

الخطيب، عبد الكريم. *الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين*. *بيروت*: دار الشروق، د.ت.

الخلف، سعود بن عبد العزيز. *دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية*. ط١. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٤هـ.

دالاس، جون فوستر. *حرب أم سلام، فصل حاجتنا الروحية*. ط١. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.

دراز، محمد عبد الله. *الدين بحوث ممهدة لتاريخ دراسة الأديان*. الكويت: دار القلم، د.ت.

الدميجي، عبد الله. *التوكل على الله*. ط١. الرياض: دار الوطن، ١٤٢١هـ.

الدوسري، محمود بن أحمد بن صالح. *عظمة القرآن الكريم*. ط١. السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. *تفصيل النشأتين*. تحقيق: أحمد حسن كعكو. حلب: المطبعة العربية، د.ت.

ربيع، منيب محمد. *ضمانات الحرية بين واقعية الإسلام وفلسفة الديمقراطية*. ط١. الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ.

رسل، برتراند. *تاريخ الفلسفة الغربية*. الطبعة العربية، ترجمة: زكي نجيب محمود. ط١. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

الزنيدي، عبد الرحمن. *مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر*. ط١. الرياض: دار إشبيليا، د.ت.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. *القول السديد شرح كتاب التوحيد*. د.م: د.ن، د.ت.

سلامة، بسام. *الإيمان بالغيب*. ط١. الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ.

شلبي، أحمد. *النصرانية والإسلام*. ط٣. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

ـــــــــــ، *مقارنة الأديان*. ط٨. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٥م.

الشنيبر، خالد بن محمد. *حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي*. كرسي الأمير سلطان، د.ت.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد. *الملل والنحل*. تخريج: محمد فتح الله بدران. مصر: مكتبة الأنجلو، د.ت.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. *اختلاف الفقهاء*. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

ـــــــــــ، *جامع البيان في تأويل القرآن*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

الطرازي، أبو النصر مبشر. *الإسلام الدين الفطري الأبدي*. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

الطهطاوي، محمد عزت. *النصرانية والإسلام*. القاهرة: دار الأنصار، ١٩٧٧م.

العريفي، سعود. *الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد*. ط١. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، د.ت.

علي خان، محمود. *في التقديم لأناشيد الريح ويدا*. د.م: د.ن، د.ت.

العمر، ناصر بن سليمان. *الوسطية*. ط١. الرياض: دار الوطن، ١٤١٣هـ.

عواجي، غالب بن علي. *الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار.* ط١. د.م: دار السنة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ.

عيد، أبو عمر عبد العزيز بن فتحي السيد. *العقيدة الإسلامية الميسرة وآثارها في حياة المسلم.* ط١، د.م: د.ن، ١٤٢٠هـ.

العيني، بدر الدين أبي محمد. *عمدة القاري.* ضبط وتصحيح: محمود محمد عمر، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

الغنيمان، أحمد بن عبد الله. *علم الغيب.* ط١. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، د.ت.

القاسم، خالد بن عبد الله. *الحرية الدينية بين المسلمين وأهل الكتاب.* ط١. *الرياض:* جامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ.

القرافي: أحمد بن إدريس. *الأمنية في إدراك النية.* تحقيق: مساعد بن فالح. ط١. الرياض: مكتبة الحرمين، ١٤٠٨هـ.

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن.* ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.

القرني، عبد الله بن محمد. *المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها.* مكة المكرمة: دار عالم الفوائد. د.ت.

القيم الحضارية في السنة النبوية. ط١. دبي: *كلية الدراسات الإسلامية*، ١٤٢٨هـ.

كارنيجي، ديل. *دع القلق وابدأ الحياة.* ترجمة: عبدالمنعم محمد الزيادي. القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.

اللويحق، عبد الرحمن بن معلا. *الغلو في الدين.* ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

مجموعة مؤلفين. *بحوث في الثقافة الإسلامية.* ط١. الدوحة: دار الحكمة، د.ت.

المحمود، عبد الرحمن بن صالح. *القضاء والقدر.* الرياض: دار الوطن، د. ت.

المدهون، مي بنت حسن. *الملائكة والجن.* ط١. د.م: مكتبة أصول الدعوة، ١٤٢٩هـ.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. *صحيح مسلم.* اعتنى به: أبو صهيب الكرمي. ط١. الأردن: بيت الأفكار الدولية، ١٤١٦هـ.

المقريزي،أحمد بن علي. *تجريد التوحيد المفيد.* تحقيق: أحمد السايح وزميله. القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٧م.

مير علي، إحسان. *المقاصد العامة للشريعة الإسلامية.* ط١. سوريا: دار الثقافة للجميع، ١٤٣٠هـ.

النجار، عبد المجيد بن عمر. *مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة.* ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦م.

هنوكه، زيغريد. *شمس العرب تسطع على الغرب.* ترجمة: فاروق بيضون وزميله. ط٨. بيروت: دار الجيل، ١٤١٣هـ.

Virtues of Islamic Religion

Ahmed Othman Al mazid
Professor of Religion And Contemporary Doctrines, Islamic Studies Department
Faculty of Education - King Saud University
Al Riyadh , Kingdom of Saudi Arabia, P.O. Box: 8690, Postal Code:14212
E-mail: d.w.z1432@gmail.com
(Received 11/12/1430H; accepted for publication 14/7/1431H.)

Key Words. Virtue of religion, Islam, Faith, Ethics, Moderation, Messenger, West.
Abstract. The research deals with the virtues of Islamic religion – as an need to highlight these advantages , especially after the events of 11St of September, it Includes its contributions to the humanity in the beliefs of The clear indications of the Theorem of the Oneness of God, in the God Divinity, Deism, Names and Attributes, and that the source of this belief is being protected from alteration or distortion, and there is a prohibition for human beings interventions.

The research discussed also the six pillars of faith and clarified the advantages in these pillars….. including the belief in angels and tasks assigned to them by God, the research involved the virtues belief in the faith of books and belief in the messengers and that there in no differentiate between messengers each other , they are brothers to same belief even if different heavenly religious, and the disbelief in one of them is considered as disbelief in all messengers.

The research also interested in the belief in fate as it explained the limits and borders of this case, the Day of Resurrection, and the virtue of faith according to the humanity nature.

The importance of man took part in this research , and the concentration on the relationship between Ethics and belief , the limits of human freedom, and that there is no compulsion in religion, and care of people of the Holy books and to ensure their freedom.

The virtue of Islamic religion comes in the scientific aspect to emphasize on the role of mentality and its place, and the faith moderation and its balance, the value of science and scientists in Islamic religion. The researcher ended his research with a conclusion included the most important results.